مواجهة اليهود في تغريبة بني هلال وفق النص المدون للهلالية (جمع الأبنودي)

أ.د.فرج قدري الفخراني (*)

توطئة

لا شك أن تعدد روايات سيرة بني هلال – وخاصة التغريبة[١] – واتساع رقعة الاهتمام بها في عددٍ من الأقطار العربية رواية وسماعًا وتدوينًا مبعثه الأصلي ذلك النشاط الفعلي الممتد جغرافيًا لقبائل الهلاليين الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى تونس[٢]،بل تمددوا – وفق بعض الروايات – إلى المغرب ثم الأندلس[٣]، في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي يَرُدَّها إدوارد لين إلى القرن الثالث الهجري[٤]،بينما يَرْجِعُها عبد اللطيف إلى القرن الرابع الهجري[٥]، أما أبو سديرة فقد رد استقرارهم في مصر إلى القرن الثاني الهجري حين استقر بنو قُرَّة في منطقة البحيرة وما حولها حتى بَرقة وطرابلس إلى الغرب من الحدود المصرية وفق ما ذكر المؤرخ ابن خلدون، هكذا سعى بنو قرة إلى التوطن والاستقرار قَبل إخوانهم من بني سليم أشياع الهلالية[٦]، كذلك يشير أبو سديرة إلى إطار زماني/مكاني برز فيه الهلالية باعتبارهم قبائل متمردة على النظام الفاطمي في صعيد مصر تحديدًا في عهدي الظاهر والمنتصر(٤١٢ – ٤٤٢ هجرية)[٧]، حيث أقامت بطون الهلالية في مصر مع بداية حكم الفاطميين، لتجد لها موضع قدم في التاريخ الفاطمي بعد أن صاروا يشكلون عنصرًا مهمًا في محيط القبائل العربية

* – أستاذ الأدب الشعبي – جامعة جنوب الوادي .

في بلاد الصعيد كلها حتى عيذاب على ساحل البحر الأحمر، وذلك منذ إنزالهم بها في عهد العزيز بالله الفاطمي.[٨]

غير أن ما يجذبنا نحو السيرة الهلالية هو ثراؤها الأدبي، لا مرجعيتها التاريخية، فالمبدع الشعبي وجد في تلك السيرة مادة ثرية وقالبًا فنيًا من جنس ثقافته وثقافة جمهوره الذي يستطيع من خلاله التحاور مع عناصر تلك الثقافة لتأكيد قدرتها على مواصلة الحياة، وعلى ذلك نكون – نحن الدارسون – أمام عمل أدبي شفاهي قابل للتغير وقابل لإعادة الصياغة مرات عديدة، مستجيبًا للتأثيرات المختلفة التي تتعلق بديمومة الحياة وطبيعة الجمهور وطبيعة مكوناته الثقافية التي تقوى حينًا ويصيبها الوهن أحيانًا، وهي تغيرات لا تقتصر فقط على الروايات الشفاهية للسيرة على اختلاف زمكانية الروي، بل تمتد إلى الصيغ المتعددة للرواية الكتابية التي جَمَلَها ليونز M. C. Lyons في ثلاثة صيغ هي سيرة بني هلال الكبرى، وتغريبة بني هلال، وسيرة بني هلال في قصة أبي زيد الهلالي والناعسة وزيد العجَّاج، وذلك في إطار دراسته الواسعة حول السير الشعبية العربية بشكل عام.[٩]

وإذا كان إنتاج النص المدون للسيرة الهلالية الذي جمعه الأبنودي وعلق عليه، والذي تعتمد عليه دراستنا – لرواة عاشوا فترة مخاض وليد غير شرعي، هو الكيان الصهيوني، فما كان لدى هؤلاء الرواة من أمثال جابر أبو حسين والسيد الضوي إلا استدعاء الخافي من عناصر الصراع السِيرِي بين أتباع الدين الجديد وأصحاب الدين القديم، وهو الصراع الذي حافظت عليه الرواية المكتوبة التي سجلت تغلَب الهلاليين على يهود خيبر[١٠]، كما حافظت عليه روايات شفاهية حديثة جُمِعت في ٢٠٠٤م "موت رزق جه إزاي فطبعا كان فيه حرب مع اليهود وخد معاه القاضي بدير وخد معاه الجيش وراح آه ... لأخواله يدافعو آه .. عن الأشراف .. فطبعًا هزموا اليهود وانتصروا"[١١]، هكذا يستحيل الصراع لديهم إلى صراع عقدي، وتتوارى أسباب الصراع الأخرى السياسية والتاريخية والثقافية، ويبدو أن المصادر التاريخية القديمة تبرر هذا الصراع العقدي، بما يمكن رده، إلى كراهية بني هلال لملتهم

القديمة وهي اليهودية التي دان بها بعض من بني هلال وهم آل عبدون بني هلال عن بني أفراييم[١٢]، في مقابل دينهم الجديد/ الإسلام الذي بات مآلهم ومأواهم.

هكذا يستقيم الحكي الذي يردد ملاقاة بني هلال لعناصر يهودية في سيرتهم، إذا عرفنا امتداد بطونهم إلى ما بعد الحجاز، قرب المدينة التي ضَمَّت اليهود وغيرهم ،فقد كانت ثمة بطون من مضر ظلت على حالِها القديم تتنقل بين الشِعاب وتستظل الوَبَر ،من بينهم هلال وسليم ،حيث حلَّ بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وحلَّ بنو سليم بعد المدينة[١٣]، كذلك تذكر بعض الروايات صراحة نشوب القتال بين "الهلايل" ويهود خيبر ووقوع الحروب الطاحنة بينهم التي انتهت بانتصار "الهلايل"[١٤] وعلى ذلك تكشف تغريبة بني هلال[١٥] عن صراع الهلالية مع اليهود في رحلتهم المتجهة غربًا من العراق إلى الشام ، وفق ما ذكرته الرواية

أَقْبَلُوا فِي مَسِيرْهُم عَلى "حَلَب الشّام" إصْـــــغِي لِمَعْنَـــــى الروَايَـــــة
أَبُـــو زِيـــدْ راجِـــل كَـــوَرْدِ ينشَـــم تِغَنّـــــــي وَرَاهْ الصـــــــبَايَا[١٦]

'aqbalû fî maseîrhom ¿ala "ḥalab âlshshâm" 'eṣgheî lema¿nâ âlrwâyah
'abû zeîd râgel kawarde însham teghannî warâh âlṣbâyâ

وذلك بعد وصول القبيلة ذات الأصول العريقة من الجزيرة العربية إلى بلاد العراق، حيث التقى أبو زيد ب"أحمد بن نوفل" الذي لم يتردد في مدح الهلالي "ابن خضرة سلامة":

خَـــــدُه الأمِيـــــر بِالأخْضـــــان وبَاسُـــه فـــي خُـــدُوده وعْيونُـــه
سَـــــــلَامَات يَانَسْـــل الْعَـــدْنَان وكُـــل النَّـــاس تِحْفَـــظ قَانُونُـــه[١٧]

khadoh âl'ameîr beâl'aḥḍân webâsoh fî khodûdoh û¿îûnoh
salâmât yânasl âl¿adnân wekol âlnnâs teḥfaẓ qânûnoh

الأعلام كعنصر يهودي في التغريبة

لقد أبرزت التغريبة الخلفية اليهودية للأعداء من خلال عرض الأسماء اليهودية مثل داوود بن توما، شقيق برجيس الذي أرداه دياب قتيلًا[١٨]، كذلك الاسمان "شوبه" و"لوبه" اليهوديان

اللذان استعان بهما داوود في أسر "دياب" بالحيلة[١٩] هما، عندي، فكٌ لنحت لغوي لاسم حقيقي مُستدعى من ملحمة السيد هو ابن شاليب– اليهودي البارع في تزييف النقد، الذي رافق ألبار هانييث[٢٠] والذي تردد ذكره كثيرًا في تلك الملحمة القشتالية، أما "هرَّاس بن جدعون" خال برجيس صريع دياب وفق الرواية الشفاهية للسيرة، فتتقاطع شخصيته مع "الملك هرّاس صاحب جزيرة قبرص" الذي يتردد في الرواية الكتابية لذات السيرة والذي يأسر دياب أيضًا ويعذبه "وأخيرًا وصلت السفينة إلى قبرص، فأنزلوه منها، ونقلوه مكبلًا إلى ملكها الذي فرح باعتقاله فرحًا عظيمًا، وأمر بتعذيبه...."[٢١]،أما الاسم "رابين" قد كُنِيَ به يهودي شرس نازل دياب وكاد أن يصرعه وفق الرواية:

كَانِـــتْ اِلسَّـــابقه مِـــنْ "رَابِـــين" هَـــزّ لِـــدْيَابْ اِلْقَنَايـــه
طَعَـــنْ فِـــي "دِيَـــابْ" اِلْكَهِـــينْ هَيَّفِـــتْ فِـــي وَاسِـــعْ خَلَايَـــا[٢٢]

كذلك أكدت التغريبة على الهوية اللغوية والعرقية للأعداء، وذلك وفق الرواية الشفاهية "كان دُول لسانهم عبراني .. ودول بيتكلموا عربي .. والأشكال غير الأشكال"[٢٣] ،كما تُذكر بعض الدرجات الدينية اليهودية، الشائع منها كالكاهن، والحاخام " طبعا همَّ كُهّان وعملوا أشراف ولبسوا هُدُوم بيضا ونضاف، ولفّوا عمايم خضرا قطيفة لطاف. طيب وأنا أعمل أيه ؟ أقول وأنت أُدخُل بصفة حاخام بتاع كبار اليهود"[٢٤]، والنادر منها كالربَّاني[٢٥] " قال له داود: مالك أيها الرباني، أخبرني إيه الرواية "[٢٦]

واستبعدت الرواية تمامًا أي شكوك تجعلنا نظن أن اليهود هنا مرادف لأهل الكتاب بشكل عام، إذ جعلت الرواية كلًا من المسلمين والنصارى[٢٧] في قارب واحد في قبرص الخاضعة لحاكم يهودي هو "هراس بن جدعون" وهناك تَكَبَّدَ كلاهما معاناة السجن وآلامه من قبل اليهود السجانين غلاظ القلوب :

فِـــي الصُّـــبْح فَتَحُـــوا عَ الْمَسَـــاجِين عَشَـــر تَـــلَاف يَـــاابْنِ اَلْأَمَـــارَة
اِلْكُـــــل جِـــــدْعَان حِلْـــــوِين إِسْـــــلَام وِمِـــــن اِلنَّصَـــــارَى

إســـــلام ونِصَـــــارَى اِلْمَسَـــــاجِين مِـــــنْ كُـــــل رَاجِـــــل مَعَـــــانِي
وَجَـــــدْهُم فِـــــي جَـــــضّ وَأَنِـــــين مَـــادِي إِلَّا عَجَـــب يَـــا زَمَـــانِي[٢٨]

feî âlṣṣobḥ fataḥû ¿a âlmasâgeîn ¿ashar talâf yââbne âal'amârah
elkol ged¿ân ḥelweîn 'eeslâm wemen elnnaṣârâ
'eslâm wenaṣârâ elmasâgeîn men kol râgel ma¿âneî
wagadhom feî gaḍḍ wa'aneîn mâdeî 'eallâ ¿agab yâ zamâneî

إن التقارب، الذي تشير إليه الرواية، بين المسلمين والمسيحيين في قبرص– يتقاطع زمنيًا مع تقارب حقيقي، كان يحدث خفية، بين أصحاب الديانتين في الأندلس، وفق ما ذكر مكي، حيث كان المسلمون والمسيحيون، هناك يختلفون في الظاهر، أما في العمق، كان بينهما الكثير المشترك، بل كان هناك من المسيحيين من لا يجد حرجًا في أن يقاتل تحت راية مسلم[٢٩]، أما إذا ظهر على المسرح السياسي ملك مسيحي مهاب، مثل ألفنسو السادس، ربما ردد في رسائله ومكاتباته أنه "ملك الملتين، وسيد الديانتين"[٣٠].

أما متن الحكاية مع اليهود فقد حكاها "دياب بن غانم"، الذي بدأ بالجَور على أراضي اليهود من أجل سقاية غنمه وركائبه إبَّان رحلته العجفاء إلى الشام، دون أن يستمع لنصائح "أبي زيد الهلالي" ،الذي حذَّره من مغبة إتيان أملاك اليهود خشية أن يبطشوا به، إلا أن "دياب" استهان بأولئك الأعاجم المختلفين معه في اللغة، وشرع يدوس أملاكهم :

حَنْبَيّتُـــــوا اِلْلِيلَـــــة دِيَّـــــه هِنَـــــا بِالشِّـــــبْر وِالـــــذِّرَاعَا
اِلْأَمْـــلَاك دِي أَمْـــلَاك كِـــلَاب عَجَمِيَّـــه إِوْعُـــوا نَفَـــر يْخُـــش اِلزِّرَاعَـــه[٣١]

ḥanbayytû elleîlah deyyah henâ beâlshshebr weâldhdherâ¿â
el'amlâk deî 'amlâk kelâb ¿agameyyah 'eew¿û nafar ykhosh elzzerâ¿ah

دون أن يأبه بتحذيرات " أبي زيد " التي كثيرًا ما ترددت في السيرة :

اِلْأَمْـــلَاك دِي لِجَمَاعَـــة كُهَّـــان أُوْعُـــوا هِنَـــا تِلْمِسُـــوهَا
وِالْلِـــي حَـــيِلْمِس اِلزَّرْع يِتْـــهَان كِلِيمَـــات زُوق اِفْهَمُوهَـــا[٣٢]

'ow¿û henâ telmesûhâ
keleîmât zûq efhamûhâ

el'amlâk deî legamâ¿ah kohhân
weâlleî ḥayelmes elzzar¿ yethân

ويبدو أن جماعة الهلايل مالت إلى رأي "دياب" الذي استهجن تحذيرات أبي زيد، مفضلًا القتال على الموت جوعًا:

جِـــهْ وَاقِـــفْ "دِيَـــابْ" عَ الْقَـــدَمِين ... وِقَـال : "مُوَيِّـدِينْ كِيـفْ يـا جَمَاعَـه؟.
نِبْقُوا مَاشْيين فِـي اِلْجِبَالْ لِينَـا يُومِينْ ... وِجْمَالْنَـــــا تِبَيِّـــــتْ جَوَاعَـــــه
اِزَّاى نِبَـــــــاتُوا جَعَـــــــانِينْ ... صِـــيغُوا اِلْقُـــولْ يَـــا سَـــامْعِينِي.؟
وِنِبْقُـــوا جَنْبِنَـــا اِلْتَمْـــرْ شَـــايْفِينْ ... وِنْخَـــافُوا مِـــنْ وَاحِـــد كَهِينِـــي.؟[٣٣]

وأمام إصرار "دياب" لم يجد "أبو زيد" بدًا من موافقته على الإغارة على بساتين ومزارع اليهودي الثري "برجيس بن توما"، الذي سارع بمنازلة "دياب"، وبعد معركة تبادلا فيها الضربات ، أرداه "دياب" قتيلًا :

"أَبُـو مُوسَـى" أَبْصَـر عَمَـل كِيـف ... فِـــي اِلْحَـــرْب رَاجِـــل خُلَاصَـــة
مَيَّـــــل عَ اللَّعِـــــين بِالسِّـــــيف ... عَـــزَل جُثُتُـــه مِـــن رَاسَـــه !![٣٤]

feî elḥarb râgel kholâṣah
¿azal gothotoh men râsah !!

abû mûsâ" 'abṣar ¿amal keîf
mayyal ¿a âlla¿eîn beâlsseîf

والشاهد يمثل قمة الصراع بين الهلالية واليهود في حيز مكاني محدد تذكره الرواية وهو العراق ، البلد الذي لجأ إليه اليهود على مر تاريخهم، ويبدو أن ظهور الهلالية في القرن الحادي عشر الميلادي يتوافق تاريخيًا مع فترة اضطهاد اليهود إبان الصراع السني الشيعي في بغداد ، حيث تبارى الطرفان في التضييق على اليهود[٣٥]، حينها هُدِمت بعض منازلهم ومعابدهم ، وفي عام ١١٢١م إبان حكم الخليفة المسترشد صدر أمر بمقتضاه فُرِض على

اليهود ارتداء ملابس صفراء ووضع سلسلة في رقابهم مكتوب عليها "زِمِّي"[٣٦] ، والتاريخ هنا لا يجافي الرواية التي تؤكد انتهاك الهلالية لأملاك اليهود وضيعهم ،بعد أن أصدر دياب أوامره للقبائل المرتحلة أن تطلق إبِلها ترعى دون خوف ودون وَجَل، لأنه قادر على رد هؤلاء اليهود إن تجرأوا على الدفاع عن مراعيهم.

أَمَـر اِلْأَمَيـر "فِـي الـزَّرَع سَـيِّبُوا اِلْمَـال خَــرَّب اِلْجَنَــاين مِــن كُــل جَانِــب
مِـنْ كُتْـر مَـالْهُم خَلَّـى اِلسَّـجَر مَـال صِــبِح عَنَبْهَــا وتِينْهَــا خَرَابِــب [٣٧]

'amar el'amaîr "feî âlzzara¿ sayyebû elmâl kharrab elganâyen men kol gâneb
men kotr mâlhom khallâ elssagar mâl ṣebeḥ ¿anabhâ weteînhâ kharâyeb

بعدها سيطر "دياب" على حكم مدينة "برجيس" اليهودي، ودان له جميع من في المدينة بالطاعة والولاء، غير أن فرحته لم تدم طويلًا، إذ أن"كسّاب" تاجر الآثار اليهودي قام بإبلاغ خال برجيس ، وهو "هرّاس بن جدعون " حاكم قبرص، الذي تولى أخذ الثأر لابن أخته:

قَــــامْ الْلَعِـــــين دَقّ طَبْلُـــــه وِرِكْبِــــــتْ وَرَاه اِلْكَهَانَــــــة
شَــاف الشَّــرْقْ وِالْغَــرْب طَــاب لُــه قَــال لِلجِيُــوش يَــالله وَرَانَــا[٣٨]

qâm âlla¿eîn daqq ṭabloh werekbet warâh elkahânah
shâf âlshsharq weâlgharb ṭâb loh qâllelgeyûsh yâllh warânâ

لقد انتقل صدى المعركة بين "دياب" و"هراس بن جدعون" إلى مواضع أخرى من السيرة الهلالية، منها نجدة دياب لهند بنت سالم من عرب بني بكر المسلمة التي خطفها اليهود الثلاثة، حيث يقول الراوي على لسان هند:"**.. واليهود هنا ف عمود رهنوني بقالي تلات تيام بس.. لاجوني ناسي ولا شافوني .. وكل يوم يدوني تلاتين جلدة وماعرفش إيه الذنب ولا لاقيه من يخلصني ولا يغيثني**.."[٣٩] وهو ما يجعل دياب ينتفض لنجدتها دون أن يأبه بتحذيراتها من القوى السحرية التي يمتلكها اليهودي "رابين":

تْقَـــدَم لُـــه دِيَـــاب يِقُـــول لُـــه ... صُـــون الأَدَب يَـــا لَئِيمـــي
إِيـــه وَصَّـــلَكْ لِـــدَه كُلُـــه ... أَنَـــا بَحْـــرْ أُخْـــبُط بِرِيمِـــي
لَاتْنِـــين تْقَـــابَلوا فِـــي قِتَـــال ... يَـــا لَطِيـــف حُـــوش اِلْـــبَلَاوِي
رِجـــال مِقَابْلَـــه رِجَـــال ... ضَـــرَبُوا لِلْبَلَـــى طَبْـــلِ دَاوِي
كَانِـــتِ اِلْسَـــابْقَه مِـــنْ رَابِـــين ... هَـــزّ لِـــدِيَابِ اِلْقَنَايَـــه
طَعَـــنْ فِـــي دِيَـــابِ اِلْكَهِـــين ... هَيَّفِـــتْ فِـــي وَاسِـــع خَلَايَـــا.
دِيَـــاب قَـــامْ عَـــرَّض وِجَـــاه ... يَاسَـــاتِرْ مِـــنِ اِلْفَضَـــايِحْ
ضَـــرْبَه كَانِـــتْ عَلَـــى قَطْـــعِ رَجَـــاه ... وَقَـــعِ اِلْلَعِـــين وِالـــدَّم سَـــايِحْ[٤]

ṣûn âl'adab yâ la'eeîmî ... tqadam loh deyâb yeqûl loh
'anâ baḥr 'okhboṭ bereîmeî ... 'eeîh waṣṣalak ledah koloh
yâ laṭeîf ḥûsh elbalâweî ... lâtneîn tqâbalû feî qetâl
ḍarabû lelbâ ṭable dâweî. ... regâl meqâblah regâl
hazz ledeyâbe elqanâyah ... kânete elsâbqah men râbeîn
hayyafet feî wâse¿ khalâyâ. ... ṭa¿an feî deyâbe elkaheîn
yâsâter mene elfaḍâyeḥ ... deyâb qâm ¿arraḍ wegâh
waqa¿e ella¿eîn weâlddam sâyeḥ ... ḍarbah kânet ¿alâ qaṭ¿e ragâh

ثأر اليهود (هراس بن جدعون يأسر دياب)

إن القوة التي ابداها دياب دفاعًا عن هند المسلمة تفشل في القضاء على "هراس بن جدعون" الذي فضَّل الحيلة والمكر لأسر "دياب " ،حيث أرسل ثلاثة فرسان في ملابس عربان يستنجدون بدياب، الذي وقع في حبائلهم وأخذوه إلى قبرص، بعدما فشلت ابنته في إثناءه عن مصاحبة أناس أغراب ليس على بَيِّنَة منهم، فقد أبى "دياب" أن يلتفت إلى الصوت النسوي القادم له من ابنته المقربة إلى قلبه، التي تحذره من مغبة الإندفاع وراء أغراب لم يخبرهم قبل ذلك:

يَـــا بَايَـــا يَـــابُو رَأْي مَعْـــدُولْ كُـــلْ طُـــرُق وِلِيهَـــا سَـــالِك
هَـــل كَلامِـــي مَعَـــاك مَقْبُـــول؟. هَلْ اِلنَّاس دُولْ خِبِرْتُهُم قَبْل ذَلِك؟
هَل يَا بَايَا تِعْرِفْهُم مِنِين مِن غِير وَعْدَهْ وِمِيعَادِي؟.
رَاكِب مَعَاهُم رَايِح عَلى فِين...؟ أَخَاف لَيْكُونُوا أَعَادِي.[٤١]

ونتيجة تجاهله التحذيرات المتوالية، انتهى به المطاف بإنزاله في "الطبقة"[٤٢]، بعد أن أصبح بين يدي "هراس بن جدعون" :

وَضَـعُوا "اِبْـن غَـانِم" فِـي هَـذا الْمَكَـان سِـــجْن اَلْلِئَـــام الْكَهَانَـــة
وَلَكِـــن دَه حُكْـــم اِلـــرَّحْمَن قَـال: سِر النَّبِـي يِحْضَـر مَعَانَـا[٤٣]

segn âalle'eâm âlkahânah waḍa¿û "ebn ghânem" feî hadhâ âlmakân
qâl: ser âlnnabeî yeḥḍar ma¿ânâ walaken dah ḥokm elrraḥman

وجد "أبو زيد " نفسه مطالبًا بإعادة "دياب" ، فتنكر في زي حاخام متجهًا إلى قبرص، وفي الطريق يلتقي ب"أحمد بن نوفل" الذي سيكون له دور في إنقاذ "دياب" ،ومساعدة "أبو زيد الهلالي" في القضاء على جميع اليهود القاطنين في قبرص هكذا وجد "أبو زيد" نفسه ، بعد غيبة "دياب" التي زادت عن أربعة أيام ، يبكي وينشد :

إِلَّا أَرُوح مَاشِـــي عَلَـــى قْـــدَامِي وْرَبَّـــك يِجِـــل اِلْعَسِـــيرِي
أَبْكِـــي لَمَّـــا دَمْعِـــي حَيْصُـــب قَـــدَمِي عَلَـــى دِيَـــاب وِلْـــدْ كَبِيـــرِي[٤٤]

wrabbak yeḥel el¿aseîreî 'eellâ 'arûḥ mâsheî ¿alâ qdâmeî
¿alâ deyâb weld kabeîreî 'abkeî lammâ dam¿eî ḥayṣob qadameî

ووفق الرواية ،فقد تكشفت خطة أبي زيد كاملة لأخت حاكم قبرص التي تقوم بتسخير أبناء الجن لطاعتها ، بل وتأمر الجن بإحضار أبي زيد ،وتكلف بذلك أربعة من الجنون هم زوبعة وفقطش ومنطال وشنهورش[٤٥] الذين هجموا عليه وهو بين جموع الناس وحملوه على بساط الريح

وْهَجَمُـوا عَلَـى "اَلْهِلَالِـي" وْخَطَفُـوه خَـدُوه وْقَـامُوا فِـي اِلرِّيَـاحِي
وَسَـط اِلْجَـو وْرَاح بِـوَدُّوه حَاجَـة كَنِسْـم اِلرِّيَـاحِي[٤٦]

whagamû ¿alâ "âalhelâleî" wkhaṭafûh khadûh wqâmû feî elrreyâḥeî
wasaṭ elgaû wrâḥ yewaddûh ḥâgah kanesm elrreyâḥeî

ورغم معرفته ببعض الآيات التي بمقدورها إحراق هؤلاء الجنون، إلا أنه تريث حتى يصل للكاهنة التي لم تكن ترغب في الإضرار به، غير أنها كانت لها فيه رغبة

قُلْت لُـه: انْظُر يَـا حَبِيبِـي عَ النُّهْد رُمَّـان لَازِم كُـل حَـي يَاخُـد حُقُوقُـه
وَادِينِـي أَنَـا وِانْـتَ فِـي خَـلَا وَسْـعَان عَسَـل شِـفِّتِي خَـرّ دُوقُـه[٤٧]

qolt loh: ânẓor yâ ḥabeîbeî ¿a âlnnohd rommân lâzem kol ḥaî yâkhod ḥoqûqoh
wâdeîneî 'anâ weânta feî khalâ was¿ân ¿asal sheffeteî kharr dûqoh

ويبدو أن الراوي هنا يستدعي الحكي اليهودي لغواية مماثلة وقعت لواحد من بني إسرائيل، وهي غواية امرأة فوطيفار ليوسُف حين " رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: "اضطجع معي "، فأبى..."[٤٨] ،كذلك يأبى أبو زيد الفعل المشين قَال :

اِلْكَـلَام دَه بِتْقُولِيـه عَلَـى مِـين إِوْعِـي لِسَـانِك بِقُـول تَـانِي
إِنِّـي أَخَـاف الله رَب اَلْعَـالَمِين أَخَـاف مِـن اِلْلِـي نَشَـانِي[٤٩]

elkalâm dah betqûleîh ¿alâ meîn 'eew¿eî lesânek yeqûl tâneî
'eenneî 'akhâf âllh rab âal¿âlameîn 'akhâf men elleî nashâneî

وفي صورة مثالية، يتقاطع فيها حكي السيرة مع الرواية الدينية اليهودية، ينتهي البطلان إلى مصير واحد يسيرا إليه بنفس راضية، وهما يتجاوزان محنة الغواية وضيقها إلى رحابة السجن، فمصير صاحب السيرة هو "الطبقة "

خُـدُوه عَ الطَّبَقَـة اِرْمُـوه زَي اِلْلِـى فِيهَـا "اِبْـن غَـانِم"
خَـدُوا اِلْفَتَـى وِنَزَّلُـوه حَبَسِـتُه زِينِـةْ اِلْهَـوانِم[٥٠]

khodûh ¿a âlṭṭabaqah ermûh zaî ellea feîhâ "ebn ghânem"
khadû elfatâ wenazzalûh ḥabasetoh zeîneh elhaûnem

وهو ذات المصير الذي آل إليه صاحب الرواية الدينية اليهودية "فأخذ يوسفَ سيدُه ووضعه في بيت السجن"[٥١]

لقد تعمد الراوي نزع فضائل بعض الشخصيات في الموروث اليهودي، ليلبسها أبطالَه المسلمين، ليستحيل الصراع بذلك من صراع من أجل العَيش / اقتصادي السَمْتْ، إلى صراع ديني بين أصحاب الفضيلة / المسلمين، وأصحاب الرزيلة / اليهود، وعندي أنها معادلة دائمة الرواج في أوقات وهن الدول وضعفها.

إن الراوي استقدم بطلًا مساعدًا ليفك أسر أبي زيد المحبوس في قبرص وهو "أحمد بن نوفل" الذي امتطى هو وابنته صهوتا بغلين سحريين وطارا بهما في الجو للوصول إلى مكان الكهينة التي تحبس أبا زيد ،فأرداها ابن نوفل قتيلة بإرادة الله تعالى :

عِنْـــدَما شَـــافْهَا نُوفَـــل بِعِينَـــاه ... مَيَّل بِالْحَرْبَـة فِـي صَدْرَهَا وْعَطَاهَا
وْجَـــات هِدَايَـــة أَصْـــلُه مِـــنَ الله ... اِلْحَرْبَـــة نَفَـــذَت فِـــي قَفَاهَـــا
جَـــات وَاقْعَـــة اِلرَّدِيِّـــة عَلَـــى اِلْأَرْض ... عَ اَلْأَرْض سَـــــيَّل دِمَاهَـــــا
طَالْعَـــة جُنُونْهَـــا طُـــول مَـــعَ عَـــرْض ... فَسَـــدِت اِلْعَزِيْمَـــة وَرَاهَـــا[٥٢]

¿endamâ shâfhâ nûfal be¿eînâh ... mayyal beâlḥarbah feî ṣadrahâ w¿aṭâhâ
wgât hedâyah 'aṣloh mena âllh ... elḥarbah nafadhat feî qafâhâ
gât wâq¿ah elrradeyyeh ¿alâ el'arḍ ... ¿a âal'arḍ sayyal demâhâ
ṭâl¿ah gonûnhâ ṭûl ma¿a ¿arḍ ... fasadet el¿azeymah warâhâ

والراوي هنا لا يُحَيِّد الجنون بعد هزيمة مروضتهم، ولكن يجعل لهم دورًا إيجابيًا هو قيادة نوفل وابنته إلى محبس أبي زيد لفك أسره:

تَعَـــــالَى نُـــــوَرُّوكْ خِلَّـــــكْ ... رَفَعُـــوا اِلْحَجَـــرْ عَـــنْ سَـــلَامَه
آَدِي صَـــــاحْبَكْ دَخَـــــلْ لَـــــكْ ... حَمْـــــدِ الله عَ السَّـــــلَامَه[٥٣]

ta¿âlâ nowaroûk khelaak ... rafa¿û elḥagar ¿an salâmah
'âadeî ṣâḥbak dakhal lak ... ḥamde âllh ¿a âlssalâmah

لم يكن بمقدور أبي زيد، الوحيد في بلاد غريبة، مواصلة السعي لنجدة دياب دون أدوات سحرية، لا سيما وأن أعدائه اليهود، الذاهب إلى ملاقاتهم، لهم دراية ومعرفة بضروب

السحر، فأيقن أن الحديد لا يفلَّه إلا حديدًا مثله، ولهذا جعل الراوي ابنة نوفل الشخصية المانحة لثلاث أدوات سحرية تمنحها في صورة هدايا لأبي زيد، دون أن يغيب عن الراوي القيمة الطيبولوجية للعدد ٣ الذي اعتبره أولريك أحد خصائص الحكي الشفاهي، والذي يعرف لديه بقانون التثليث[٥٤].

"قَالِتْ لُه: طَيِّبْ خُذْ مِنْ عِنْدِي تَلَاتْ هَدِيَّاتْ بِنْفَعُوكْ فِي مَعْنَى الْكُلَيْمَاتْ ، عِنْدِ الدُّخُول وِالْمُقَابَلَات ، وِعِنْد الْجِلُوسْ وِعِنْدِ الْسُؤَلَات ... آدِي كِتَابْ مِنْ كُتُب الْكُهَّان الْأَقْدَمِين ... اِسْمُه كِتَابْ الْتَمّوز . دِه لَمَّا تِبُصْ فِيه اِنْ سَأَلُوك سُؤَال تُرُد كِوَيِّس ... وَآدِي خَاتِم فَضَّه سُلَيْمَانِي أَوْل مَا حَد يُقْعُد جَنْبَك وِمَا تِعْرَفْش اِسْمُه تِلْقَاه مَكْتُوب فِي فُص الْخَاتِم . ...وِآدِي قَمِيص شَاغْلِينُه بَنَات الجِّن ..فَالْجِّن مَخْلُوق مِن نَار فَإِن خَوَّضْت فِيه بِالْنَار مِش حَتِتْحِرِق ..."

"qâlet loh: ṭayyeb khod men ¿endeî talât hadeyyât yenfa¿ûk feî ma¿nâ eâlkolaymât ،¿ende elddokhûl weelmoqâbalât ،we¿end elgelûs we¿ende elso'oalât ... 'âadeî ketâb men kotob elkohhân el'aqdameîn ... esmoh ketâb eltammûz . deh lammâ teboṣ feîh en sa'alûk so'oâltorod kewayyes ... wa'âadeî khâtem faḍḍah solaymâneî 'awl mâ ḥad yoq¿od ganbak wemâ te¿rafsh esmoh telqâh maktûb feî foṣ elkhetm . ...we'âdeî qameîṣ shâghleînoh banât âlggen ..fâlggen makhlûq men nâr fen khawaaḍt feîh beelnâr mesh ḥatetḥereq"

لقد جسدت هذه الأدوات السحرية الثلاثة ،بوظائفها العجائبية ،طوق النجاة من موت محقق لأبطال الرواية الثلاث "أبو زيد وديباب وأحمد بن نوفل" ، وبعيدًا عن تساؤلات تقليدية حول كيفية وصول هذه الأدوات إلى الابنة – بمقدور الدراسة طرح تساؤل آخر حول العلاقة بين المادة التي تتشكل منها الأدوات السحرية (الورق – المعدن – القماش) والوظائف التي تؤديها ،واضعين في الاعتبار أن تلك المواد هي مواد أساسية لتخليق الأشكال السحرية بشكل عام ، وبذا تتراتب الأدوات على النحو التالي:

الأداة	المادة المصنوعة منها الأداة	وظيفة الأداة	دور الأداة في الرواية	الرمز الموتيفي للأداة وفق تصنيف الشامي[٥٥]
كتاب يجيب عن الأسئلة "كتاب التمّوز"	الورق	الإجابة عن أي سؤال	أبو زيد ينظر في الكتاب فيتمكن من الإجابة عن أي سؤال يوجه له[٥٦]	D1266, Magic book.
خاتم من ينظر إليه يعرف الاسم الكامل لمن يجلس بجواره	المعدن	معرفة الاسم الكامل لأي شخص يقابله	أبو زيد ينظر في الخاتم السليماني فيعرف الاسم الكامل لكل من يقابله بمن فيهم منقريوس الكاهن الأصلي[٥٧]	D1076. Magic ring.
قميص من يرتديه لا تمسه النار "مشغول بأيدي بنات الجن "	القماش	الحماية من إلا الإحراق بالنار	ابو زيد يرتدي القميص وينزل في النار دون أن يُصاب بأذى[٥٨]	D1053.1, Magic Chemise

هكذا يَكْسُب العدد ٣ في الرواية، التي بين أيدينا، سمتًا شفاهيًا حين تتقاطع استخدامات العدد مع ممارسات فوق طبيعية ،تتبدّى ليس فقط على نطاق الرؤية الشعبية الشرقية ، بل أيضًا في نظرة اليونانيين إلى الأعداد[٥٩] ، فالعدد ٣ يجسد ثالوث التوراة المكون من آدم وحواء والحية ، كما يمثل فكرة التثليث في المسيحية ، كما يتردد هذا العدد كثيرًا في القرآن الكريم ، فضلاً عما يكتسبه هذا العدد من أهمية لدى قطاعات شعبية عريضة على مستوى العادات والتقاليد أو المعتقدات الشعبية[٦٠] .

لقد مكنت هذه الأدوات أبي زيد من كسب الثقة المطلقة عند حاكم قبرص وشعبه ،مما جعل الجميع رهن يديه ، حتى أن حاكم قبرص / الهرّاس بن جدعون أسند إليه الملك فترة غيابه

اِلــزَّعِيم نَوَّبُــه عَنُــه عَ الْكَرَسِــي يُحْكُــمْ عَنُــه بِسْــتِلِم الرِّنَاسَــه
حَاغِيــبْ لَكِــنْ غِيبَــه مَــا طَوِّلْشِــي وِامْسِــك أُمُــور اِلسِّيَاسَــه[٦١]

elzza¿eîm nawwaboh ¿anoh ¿a âlkaraseî yoḥkom ¿anoh yesteleme elrre'eâsah
ḥâgheîb laken gheîbah mâ ṭṭawelsheî ûemsek 'omûre elsseyâsah

وبمجرد توليه السلطة بالنيابة ،يتجه أبو زيد إلى السجون الممتلئة بالمسلمين والنصارى ليتولى إعالتهم وإعاشتهم على أفضل ما يكون بعد سنوات سجن قاسية قضوها تحت مذلة اليهود

تِزِيــــدْ لُهُــــمِ الْتَّعْيِــــين وِاْجْعَلُــوا اِلْأَكْــلْ لَحْــم ضَــانِي
وِمَــــاءِ اِلْــــوَرْدْ لِلْعَطْشَــــانِين عِيشَــــه ظَرِيفَــــه مَعَــــانِي [٦٢]

tezeîd lohome âltta¿yeîn ûg¿alû el'akl laḥm ḍâneî
wemâ'e elward lel¿aṭshâneîn ¿eîshah ẓareîfah ma¿âneî

الحرب خدعة (مقدمة الجيش تحسم المعركة)

وبعد أن عدَّ أبو زيد جيشه من المساجين، دبّر مكيدته للقضاء على اليهود، فأخبرهم أنه سوف يطلق سراح المساجين لقتال أتباع أبي زيد، وسوف يجعلهم في مقدمة الجيش، ليتلقوا الضربات، مبديًا بذلك حرصه الشديد على جموع اليهود المقاتلين الذين جعلهم في مؤخرة الجيش

خَلَّى اِلْتِّنَاشِرْ أَلْفِ اِلْيَهُود جَابْهُم وَرَاه وِكَمَانِ اِلْعَشَرْ تَلَافِ اِلْمُسْلِمِين وِالنَّصَارى
قَــال قُــدَّام اِنْتُــو تِرْفَعُــوا اِلــرَّاه وِاِنْتُــــو أَوْلَادِي وَرَاهُــــم خَسَــــاره[٦٣]

khallâ elttenâsher 'alfe elyahûd gâbhom warâh wekamâne el¿ashar talâfe elmoslemeîn weâlnnaṣâra
qâl qoddâm entû terfa¿û elrrâh weântû 'awlâdeî warâhom khasârh

وما أن بدأت الحرب رحاها ،شرعت المقدمة من المسلمين والنصارى في قتال اليهود في مباغتة لم تدر بخلدهم

وِاْتْعَـــدَلُوا قَـــوَامِ اِلْمَسَـــاجِينْ عَلَـــى رِجَـــالِ اِلْكَهَانَـــه
خَـــدُوهُم شِـــمَالْ وِيَمِـــينْ وِدِيَـــابْ زَادِ اِلْمَعَانَـــه
"أَبُـــو مُوسَـــى" جَبَـــدِ اِلْمِبَتَّـــرْ عَقْلُـــه مِـــنِ اِلـــرَّاسْ غَايْـــب
وِفِـــيهُم قَـــالْ "الله أَكْبَـــر كَحِصَـــاد فِـــي قَمْـــحِ طَايْـــب[٦٤]

weât¿adalû qawâme elmasâgeîn ¿alâ regâle elkahânah
khadûhom shemâl weyameîn wedeyâb zâde elma¿ânah
'"abû mûsâ" gabade elmebattar ¿aqloh mene elrrâs ghâyb
wefeîhom qâl "âllh 'akbar kaḥeṣâd feî qamḥe ṭâyb

وفي ترصد للمقاربة بين بطلي الملحمتين/ ملحمة الهلالية وملحمة السيد، نجد أن خديعة الهلالي المنفي لليهود هنا تتقاطع، كذلك، مع خديعة بطل ملحمة السيد المنفي أيضًا لهم[٦٥]، حين ترك السيد قرية بيبار مسقط رأسه، وترك زوجته وبنتيه وحيدات، وكان أكثر ما يشغله: كيف يستطيع وهو في المنفى أن يهيئ العيش لنفسه ولمن معه، ورغم اختلاف طبيعة الخدعة، إلا أن نهاية الخديعتين كسب المعركة للبطلين، حيث يقضي الهلالي على أغلب اليهود ويسبي المستسلمين، بينما استولي السيد على حصني قسطلون والقصير على ضفاف نهر شلون.[٦٦]

ولم يتبقَ من الرواية إلا وضع خاتمة تؤكد نهاية اليهود بعد معركة جسدت قيمة مقولة "الحرب خدعة"

وِصَـرَخْ "أَبُـو مْخِيمَـرْ" عَلَـى اِلْحَـرْبِ وِرِكِـــبِ اِلرُكُوبَـــه "سَـــلَامَه"
وِبَاتِـــتِ اِلْحَالَـــه مَـــعَ اِلْكَـــرْب وِسَـــقَى اِلْيَهُـــودِ اِلنَدَامَـــه[٦٧]

weṣarakh "'abû mkheîmar" ¿alâ elḥarbe werekebe elrokûbah "salâmah"
webâtete elḥâlah ma¿a elkarb wesaqâ elyahûde elnadâmah

وتكتمل الرواية بالنهاية السعيدة بزواج "مخيمر" ابن أبي زيد من ابنة "أحمد بن نوفل" التي كانت قد طلبت من أبيها أن يهبها لأبي زيد أو لأحد أبنائه

وِتَـــــمْ اِلْصَـــــفَا وِالْفَـــــرْحْ دَارْ يَـــــامُّ اِلْعَـــــرُوضِ اِلنَضِـــــيفَه
وِرَخِـــــتْ ضَـــــفَايِرْ اِلْأَشْـــــعَارْ وِمْخِيمَـــرْ جَـــابْ مِنْهَـــا اِلْخَلِيفَـــه[٦٨]

wetam elṣafâ weâlfarḥ dâr yâmmo el¿arûḍe elnaḍeîfah
werakhet ḍafâyer el'ash¿âr wemkheîmar gâb menhâ elkhaleîfah

لقد أراد الراوي هنا تأكيد استمرارية الصراع الديني بين المسلمين واليهود ، فالراوي الذي ينتمي إلى جيل الحرب في العقدين السادس والسابع من القرن الماضي ،يستدعي تلك الرواية المجسدة لتاريخانية الصراع القديم ، الذي يكتسب في الوعي الجمعي المصري ، شكلًا جديدًا ، ونحن بذلك نؤكد على إتقان طرق توصيل الحكاية للجمهور وهو الجانب الأهم في الحكم على قدرات الراوي ، فالراوي يمكنه ،باعتباره مبدعًا ، تغيير القوالب التي يمكن أن يصب فيها مادته ، فهو يصر ، في روي سيرة أبي زيد ، على التفاعل مع ما يحمله من مادة شفاهية ،مدركًا أن هذا التفاعل لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت المادة ملبية لاحتياجات الجمهور النفسية والاجتماعية ، هكذا أدرك الراوي تلك الاحتياجات وجعل من الانتصار في العصر الحديث ،انعكاسًا لانتصارات قديمة ، وعندي أنه يستشرف بذلك انتصارات مستقبلية حالمة فيها ينتهي الوجود اليهودي .

إن إبداعية الراوي / المنشد الملحمي هنا في قدرته على إحداث التغييرات والإضافات المطلوبة في الرواية التي يرويها متماشيًا مع ميول وقدرات الجمهور الذي حوله ،وبذلك يشبه عمل المنشد الملحمي هنا عمل المصور الذي يختار ليس فقط الزمان ،بل والزاوية المناسبة لتصوير مناظر ،سبق أن صورها كثيرون غيره ،والقارئ لرواية الصراع الديني الاسلامي اليهودي كاملة في سيرة أبي زيد يدرك أننا أمام راوٍ مبدع لم يكن عمله – فقط – مجرد إخراج نص محفوظ عن ظهر قلب ،وإنما إعادة خلق لقصة معروفة ،نَمَّقَها وأضفى عليها من بيئته طابعًا شعبيًا محببًا ،بما لديه من قدرة على التأليف وقدرات على توسيع الثروة اللغوية ،وبما لديه من المقدرة على الأداء الدرامي ،وهو ما أكد عليه طُمسُن من تصرف الراوي في الحكاية عن طريق تعبيرات الوجه والحركة والتكرار والنماذج المتكررة [٦٩]، وهو ما يمكن أن يدرس في إطار جماليات النقل الشفاهي.

الهوامش :

[١]) تغريبة بني هلال هي أشهر حلقات سيرة بني هلال الأربعة (قصة الزير سالم – سيرة بني هلال الكبرى – تغريبة بني هلال – ديوان الأيتام)، وتروي ريادة الطريق حين قامت جموع بني هلال بالهجرة – لأسباب اقتصادية بحتة – إلى تونس الخضراء وأرض المغارب، التي يقيم فيها أبناء عمومتهم من الزناتة ،للإقامة عندهم مؤقتًا إثر أزمة اقتصادية طاحنة ألمت بهم في أرض نجد. وقد قام بمعاونة أبي زيد في مهمة الريادة ثلاثة من الفتيان الأوائل في القبيلة هم يحي ومرعي ويونس.

للمزيد حول البنية المضمونية للسيرة الهلالية، راجع الدراسة القيمة التي قدمها النجار وتناول فيها قضايا البطل الملحمي في السير الشعبية انظر: – محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ص ٤٧ – ٧٣.

[٢]) حول قضية الاشارات التاريخية والتيمات الأدبية في سيرة بني هلال انظر تفصيلًا:

- عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي ،الهيئة العامة لقصور الثقافة (مكتبة الدراسات الشعبية) القاهرة ،أغسطس، ٢٠٠٣م

[٣]) ذكر مكي في دراسته القيمة عن ملحمة السيد أن قصة الهلالية كانت أكثر الحكايات الشعبية رواجًا بين الأندلسيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وأن مسرح أحداثها يبدأ من جزيرة العرب وينتهي بمراكش، هناك انتصرت الرواية الشعبية بالهلالية على أمراء شمال إفريقية، فتقاسموا البلاد فيما بينهم، فكانت الأدندلس من نصيب البطل أبي زيد الهلالي، وأنها آلت لأولاده من بعده، وعاشوا فيها. للمزيد عن تأثير روايات سيرة أبي زيد الهلالي على ملحمة السيد الأسبانية. للمزيد انظر:

- الطاهر أحمد مكي، ملحمة السيد(تقديم ودراسة وترجمة من اللغة القشتالية)، ط.ثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص ص ٢٩ – ٣٢.

[٤]) إدوارد لين، المصريون المحدثون – شمائلهم وعاداتهم، جزء ٢، هيئة قصور الثقافة، مصر، ١٩٩٨، ص ٦٦.

[٥]) محمد فهمي عبد اللطيف ، أبو زيد الهلالي، هيئة قصور الثقافة، مصر، أغسطس ١٩٩٨، ص ٢٨.

[٦]) السيد طه أبو سديرة، الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي(٣٧٨ – ٤٤٣ هجرية)، بدون دار نشر، رقم ايداع ٣٤٨٧/ ١٩٩٤. ص ٨.

[٧]) السيد طه أبو سديرة، الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي، ص ٤٨.

[٨]) السيد طه أبو سديرة، الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي، ص ٨.

[٩]) للمزيد من التفاصيل حول تناول ليونز لتغريبة بني هلال راجع تفصيلًا:

M.C.Lyons , The Arabian Epic , heroic and oral story-telling, Vol. 1 - 3 ,Faculty of oriental Studies , University of Cambridge , first Published ,1995.,Vol. pp. 120 – 150.

١٠) M.C.Lyons , The Arabian Epic ,op sit.,p.15

١١) قصة حرب أبو زيد الهلالي مع بني عقيل، رواية: محمد عبد النعيم على أحمد صالح، تسجيل: خالد أبو الليل.

انظر النص كاملًا وبيانات عن الراوي والمسجل في:

- خالد أبو الليل، روايات السيرة الهلالية في قنا (جمع وتوثيق وتقديم)، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ص ٣٤٦.

وقد تضمن ذات المصدر عددًا من القصص تحمل عناوين الصراع بين أبطال السيرة واليهود سجلها خالد أبو الليل من رواة محدثين في قنا عام ٢٠٠٢م – نحصر هذه القصص مع الإشارة إلى صفحات ورودها في المصدر المشار إليه على النحو التالي:

م	اسم القصة	اسم الراوي	القرية والمركز	تاريخ التسجيل	توثيق المصدر من ص – ص
١	أبو زيد واليهودي سريان	محمد محمود إبراهيم (أبو فهيم)	كوم المؤمنين– قفط	٢٠٠٤/٢/٧م	١٠١ – ١٠٢
٢	أبو زيد واليهودي	نور ملكي حسن محمود	الجبيل – دندرة	٢٠٠٤/٨/٢٠م	٣١٤ – ٣٢٦
٣	أبو زيد واليهود	محمد عبد النعيم صالح	القلعة – قفط	٢٠٠٤/٨/٢٤م	٤٦٦ – ٤٨١

١٢) ذكر أبو سديرة في دراسته ما نصه "وقد أسلم هؤلاء فلم يبق منهم من يعتنق اليهودية كما أوضح ابن حوقل ذلك حيث قال: وليس بجميع الواحات يهودي فما فوقه"

للمزيد انظر: السيد طه أبو سديرة، الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي(٣٧٨ – ٤٤٣ هجرية)، مرجع سابق، ص ٢٠.

١٣) محمد فهمي عبد اللطيف ، أبو زيد الهلالي ، مكتبة الدراسات الشعبية ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٩.

١٤) وردت هذه الرواية في مجموعة كاملة لقصة بني هلال وسليم موجودة في مكتبة برلين وفق ما ذكره محمد فؤاد حسنين، وقد قسم عبد اللطيف هذه المجموعة ذات النسق المتصل إلى ثلاث حلقات ، وقعت هذه الرواية في الحلقة الثانية منها والتي تبدأ بالحديث عن رحلة الهلاليين من بلاد "السرو وعبادة" إلى نجد الخضراء حيث كانت تعيش قبيلة زغبة وذرية خير ، أعني قبيلة الأمير غانم وابنه دياب...

للمزيد انظر : فهمي عبد اللطيف ، أبو زيد الهلالي ، نفس المرجع ، ص ٨٦.

[١٥]) نقصد بها تحديدًا ،التغريبة المروية في السيرة الهلالية التي جمعها عبد الرحمن الأبنودي ،والتي صدرت في طبعة مهرجان القراءة للجميع ،٢٠٠٤م ، دون سواها ،والتي تقع فيما بين (ص ٦٢٧ من الجزء الثاني إلى ص ١٨٨ من الجزء الثالث) ،للإطلاع على تغريبة بني هلال المقصودة انظر :

عبد الرحمن الأبنودي ،السيرة الهلالية ، جزء ٢ و جزء ٣ ، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ، مهرجان القراءة للجميع ، القاهرة ،٢٠٠٤م .

وسوف توثق الدراسة شواهدها بذكر مختصر(تغريبة بني هلال ، يليه رقم الجزء ، يليه رقم الصفحة) ،وفق المصدر السابق.

[١٦]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٧٧ .

[١٧]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٣٧.

[١٨]) تغريبة بني هلال، جزء ٣، ص ١٠١.

[١٩]) يحتل التحايل على دياب للإيقاع به أسيرًا لدى رئيس قبرص "الهراس بن جدعون" للثأر منه لقتله ابن أخته "برجيس بن توما" – حيزًا كبيرًا في الحكي، في إشارة حكي واضحة، تبين أن هزيمة العرب تكون بالحيلة والوقيعة، لا بالقوة والسلاح، أما خلاصة الحيلة فهي تَنَكُّر ثلاثة يهود (شوبه ولوبه وأبو التلاليس) في هيئة عرب من دمشق الشام ترجع أصولهم إلى "بني قريش"يستنجدون بدياب لاستخراج كنز وقع تحت أيديهم أثناء حفر بئر للسقاية، وخشية من أهل بلدتهم الذين طمعوا في الكنز، وفق الحيلة، يحضرون إلى "دياب" وعندما يرافق دياب الثلاثة تتكشف له الحيلة على المركب وسط البحر بظهور ثمانية فرسان يهود أُخَر، فيهجم عليه الجميع لأسره وتقديمه مقيدًا إلى رئيس قبرص الذي يحبسه في "الطبقة".

انظر على امتداد حكي الحيلة: تغريبة بني هلال، جزء ٣، ص ص ١٠١ – ١٢٦.

كذلك ترد رواية أخرى لذات الحيلة في الصيغة الكتابية للتغريبة، مما يؤكد أن خديعة دياب، على يد يهودي، تيمة رئيسة في الحكي السيري للهلالية.

انظر الرواية الأخرى تفصيلًا: تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، مجهول المؤلف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٩٩٨م، ص ص ٦٦ – ٧٦.

[٢٠]) ألبار هانييث Alvar Hanes تسميه المصادر العربية ألبار هانس، وهو أكثر شخصيات ملحمة السيد ذكرًا في المصادر العربية، ظهر اسمه لأول مرة في وثائق أعوام ١٠٩٧ – ١١٠٧ م القشتالية كحاكم لمدينة زوريتاZorita، وكان واحدًا من كبار الفرسان في بلاط الفونسو السادس.

راجع: الطاهر مكي، ملحمة السيد، مرجع سابق، ص ١٥٢.

[٢١]) تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، مصدر سابق، ص ٦٨.

[٢٢]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٢٢٥.

[٢٣]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٩٩ .

[٢٤]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٣٣.

[٢٥]) ربَّاني في اليهودية هو من يعترف بالشريعة الشفاهية بالإضافة إلى الشريعة المدونة ، كذلك هو اليهودي من غير طائفة القرائين ، وهي لقب يطلق على الفقيه الديني أو العارف بالتلمود وشروحه . انظر : دافيد ساجيف ، قاموس عبري – عربي للغة العبرية المعاصرة ،جزء ٢ ، تل أبيب ، ١٩٩٠، ص ١٦٤٨

[٢٦]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣، ص ١٧٨.

[٢٧]) ذهبنا إلى استخدام هذه التسمية خشية الإخلال بطبيعة التسمية في النص ،واستحضارًا لدلالاتها الزمانية المكانية وفق ما ترويه الحكاية ، فضلًا على أنه لم يرد في التغريبة تسمية أخرى عداها .

[٢٨]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٧٠.

[٢٩]) قدم مكي تبريرًا اقتصاديًا للتقارب بين المسلمين والمسيحيين في ملحمة السيد فقال نصًا "كان السيد، دون ما شك، أقوى فرسان القرن الحادي عشر، اجتمع تحت لوائه كل متمرد على أميره، أو منفي من ملكه، أو غاضب على المجتمع، أو شغوف بالقتال، أو باحث عن لقمة العيش، من المسلمين والمسيحيين على امتداد الأندلس العريض، وهم جميعًا، والسيد على رأسهم، في خدمة من يفع مقابلًا أكبر، يستوى في ذلك أن يكون الطلب من أمير مسلم أو أمير مسيحي".

أحمد مكي، ملحمة السيد، مرجع سابق، ص ١٣٨.

والشاهد هنا يضعنا أمام تساؤلات عدة حول المكون الإثني والديني للجماعة الهلالية أولًا، ثم الأسباب الحقيقية وراء تقارب المسلمين والمسيحيين، التي ربما يكون العامل الإقتصادي أحدها.

[٣٠]) الطاهر أحمد مكي، ملحمة السيد (تقديم ودراسة وترجمة من اللغة القشتالية) ط. ثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص١٢.

مدعاة المقاربة بين الرواية والتاريخ هنا، يرجع إلى رواج قصة الهلالية – على حد تعبير مكي– باعتبارها أكثر الحكايات الشعبية رواجًا بين الأندلسيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، لأنها تمثل الصراع على السلطة أولًا، كما تعكس بقوة الصراع بين العرب والبربر ثانيًا.

للمزيد انظر: الطاهر أحمد مكي، ملحمة السيد، مرجع سابق، ص ص ٢٩ – ٣٠.

[٣١]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٧٨.

[٣٢]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٧٨.

[٣٣]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٧٩.

[٣٤]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ٨٥.

[35] (Moshe Gil, Jews in Islamic Countries in the Middle Ages, Brill, 2004, p.284

[36] (. D. Goitein, Mediterranean society: the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza, University of California Press, 1967-1993,vo.,p.287.

[٣٧]) تغريبة بني هلال، جزء ٣ ،ص ٨٢.

[٣٨]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ،ص ١٠١.

[٣٩]) تغريبة بني هلال، زيدان والغزالة، جزء ٣ ،ص ٢٢١.

[٤٠]) تغريبة بني هلال، زيدان والغزالة، جزء ٣،ص ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

[٤١]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١١٨.

[٤٢]) الطبقة وفق السيرة هي بئر بطول واتساع شخص واحد ، تُغطى بحجر بعد وضع السجين فيها ، وهدفها تغليظ العقوبة .

[٤٣]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٢٧.

[٤٤]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٣١.

[٤٥]) تتردد هذه الأسماء في كتب السحر الإسلامية ، وخاصة تلك المنسوبة للبوني ، للمزيد حول هذه الأسماء انظر قائمة صيغ الأسماء في بحث : فرج قدري الفخراني ، صيغ الأسماء الإلهية العبرية في كتاب "منبع أصول الحكمة" المنسوب لأحمد بن على البوني – دراسة ايتمولوجية ، مجلة كلية اللغات والترجمة ، عدد ٤ ، ٢٠١٥ م

[٤٦]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٤١.

[٤٧]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٤٥.

[٤٨]) تكوين ٣٩/ ٧ – ٨ .

[٤٩]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٤٦.

[٥٠]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٤٨.

[٥١]) تكوين ٣٩ / ٢٠.

[٥٢]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٥٣.

[٥٣]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٥٤.

[٥٤]) للمزيد حول قوانين أولريك التسعة انظر :

- Axel Olrik , "Epic Laws of Folk-Narrative" ,Allen Dundes(ed), The Study of Folklore ,Englwood Cliffs 1965., pp.129-141.

[٥٥]) اعتمدنا على التصنيف الرائد للشامي في جميع إحالات الموتيفات الواردة في الدراسة ، للوصول إلى مزيد من التفاصيل حول كل موتيف انظر :

el-Shamy, H. M.. Folk Tradition of the arab world : A Guide to Motif Classification. Indiana : Indiana University Press , Bloomington and Indianapolis, (1995).

كذلك انظر تصنيف موتيفات سيرة سيف بن ذي يزن ، الذي سار فيه على نهج الشامي

فرج قدري الفخراني.. تصنيف السير الشعبية (فهرست الموتيف) ١– سيرة سيف بن ذي يزن. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. (٢٠١١)

[٥٦]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٥٧.

[٥٧]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٥٧.

[٥٨]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٥٨.

[٥٩]) اعتبر اليونانيون القروسطيون، أن الأعداد كائنات شبه مقدسة ، وأنها تكمن في أساس عملية الخلق نفسها ، لذا أبعدوها عن المعاملات وصور الحياة اليومية ، وأحاطوها بهالة من الدين والفلسفة ، وقد اعتبر جون ماكليش هذه النظرة للأعداد عند اليونان أحد أسباب تخلف أوربا في علوم الرياضيات في القرون الوسطى . للمزيد انظر:

جون ماكليش ، العدد (من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر) ، ترجمة د. خضر الأحمد ،د.موفق دعبول ، مراجعة د.عطية عاشور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٢٥١ ، نوفمبر ١٩٩٩ ، ص ١٥.

[٦٠]) فرج قدري الفخراني ، الخصائص الأدبشعبية في كتاب بلوهر وبوذاسف ، مجلة الثقافة الشعبية ، عدد ٣٥ ، البحرين ، ص ٦٤.

[٦١]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٦٦.

[٦٢]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٧٣.

[٦٣]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٨١.

[٦٤]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٨٢.

[٦٥]) ذكر مكي أن خديعة السيد لليهود تمثلت في رهنه صندوقين مملوءين رملًا لمرابين يهود في برغش، على أنهما مملؤين ذهبًا.

انظر: الطاهر أحمد مكي، ملحمة السيد، مرجع سابق، ص ٧٩.

[٦٦]) الطاهر مكي، ملحمة السيد، مرجع سابق، ص ٧٩.

[٦٧]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٨٧.

[٦٨]) تغريبة بني هلال ، جزء ٣ ، ص ١٨٩.

[٦٩]) ستيث تومسون ، الحكاية الشعبية (عالميتها وأشكالها) ، ترجمة أحمد آدم ، مجلة الفنون الشعبية ، عدد ٢١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، أكتوبر / ديسمبر ١٩٨٧ ، ص ٨٠.

المصادر والمراجع

العهد القديم

أولًا: المصادر

- عبد الرحمن الأبنودي ،السيرة الهلالية ، جزء ٢ و جزء ٣ ، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ، مهرجان القراءة للجميع ، القاهرة ،٢٠٠٤م .

ثانياً : المراجع العربية

- إدوارد لين، المصريون المحدثون – شمائلهم وعاداتهم، جزء ٢، هيئة قصور الثقافة، مصر، ١٩٩٨.
- جون ماكليش ، العدد (من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر) ، ترجمة د. خضر الأحمد ،د.موفق دعبول ، مراجعة د.عطية عاشور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٢٥١ .
- خالد أبو الليل، روايات السيرة الهلالية في قنا (جمع وتوثيق وتقديم)، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
- دافيد ساجيف ، قاموس عبري – عربي للغة العبرية المعاصرة ،جزء ٢ ، تل أبيب ، ١٩٩٠.
- ستيث تومسون ، الحكاية الشعبية (عالميتها وأشكالها) ، ترجمة أحمد آدم ، مجلة الفنون الشعبية ، عدد ٢١ ، الهيئة المصرية العامية للكتاب ، أكتوبر / ديسمبر ١٩٨٧.
- السيد طه أبو سديرة، الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي(٣٧٨ – ٤٤٣ هجرية)، بدون دار نشر، رقم إيداع بدار الكتب المصرية، ٣٤٨٧/ ١٩٩٤م.
- الطاهر أحمد مكي، ملحمة السيد، دار المعارف، ط ثالثة، ١٩٨٣.

- عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي ،الهيئة العامة لقصور الثقافة (مكتبة الدراسات الشعبية) القاهرة ،أغسطس، ٢٠٠٣م.
- فرج قدري الفخراني، تصنيف السير الشعبية (فهرست الموتيف) ١– سيرة سيف بن ذي يزن. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. (٢٠١١).
- فرج قدري الفخراني ، الخصائص الأدبشعبية في كتاب بلوهر وبوذاسف ، مجلة الثقافة الشعبية ، عدد ٣٥ ، البحرين.
- فرج قدري الفخراني ، صيغ الأسماء الإلهية العبرية في كتاب "منبع أصول الحكمة" المنسوب لأحمد بن على البوني – دراسة ايتمولوجية ، مجلة كلية اللغات والترجمة ، عدد ٤ ، ٢٠١٥ م
- محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.
- محمد فهمي عبد اللطيف ، أبو زيد الهلالي ، مكتبة الدراسات الشعبية ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة، ١٩٩٨أغسطس.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- el-Shamy, H. M.. Folk Tradition of the Arab world : A Guide to Motif Classification. Indiana : Indiana University Press , Bloomington and Indianapolis, (1995).
- Gil ,Moshe, Jews in Islamic Countries in the Middle Ages, Brill, 2004,
- Goitein. D., Mediterranean society: the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza, University of California Press, 1967-1993,
- Lyons .M.C. , The Arabian Epic , heroic and oral story-telling ,Faculty of oriental Studies , University of Cambridge , first Published ,1995
- Olrik ,Axel , "Epic Laws of Folk-Narrative" ,Allen Dundes(ed), The Study of Folklore ,Englwood Cliffs 1965.